عُزلة ماريا

ودمية الأم

دميةٌ باليةٌ...
إحتضنتُها طفلةٌ وحيدة،
فأجابتها بصوتِ أمٍّ رحلتُ.
لكن الأمِ لم تَرْجِعْ...
وعادتُ مِن الظلامِ
لتنتقمَ مِمَن ظلمَ إبنتها.

قصة قصيرة

عن حبٍّ لا يمُوت، ووعدٍ لا يُكسر،
حين تتحَولُ الأمومّةُ إلى قوةٍ
لا تعرَف الخُوف.

تأليف/
آزال العباسي

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

عُزلة ماريا ودمية الأم

في ذلك القصر العتيق، الموحش كقبور المنسيين، كانت ماريا طفلة في الخامسة من عمرها.

توفيت والدتها وهي بالكاد تكمل عامها الثاني، وتركها أبوها مسافراً وراء لقمة العيش، ظاناً أن زوجة أخيه التي أصبحت

خالتها ستكون لها أماً حانية. لكن الحقيقة كانت مريرة؛ تحولت الخالة إلى سجانة قاسية، تعامل الطفلة ببرود وقسوة وحشية. كانت تغلق عليها باب الغرفة المظلمة من الفجر حتى المساء، لا تقدم لها سوى القليل من الماء والخبز الجاف، وتحرمها من أبسط حقوق الطفولة.

لم تكن ماريا كباقي الأطفال؛ فقد وجدت عزاءها الوحيد في دمية قماشية بالية التصقت بها كظلها، تأخذها معها إلى كل زاوية، وتحدثها بصوت خافت يشبه النحيب.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

في يوم قاتم، تجرأت ماريا وخطت بقدميها خارج باب الغرفة دون إذن. ما إن علمت الخالة حتى اشتعلت غضباً؛ انهالت عليها ضرباً مبرحاً قبل أن تلقي بها في غرفة معتمة وباردة، وأوصدت الباب بإحكام.

انكمشت ماريا في الزاوية، تحتضن دميتها وتبكي بمرارة قائلة بخوف:

"أرجوكِ... لا تخافي يا حبيبتي، أنا هنا ولن أتركِ أبداً."

فوجئت الطفلة بصوت أبح وخشن يخرج من جوف الدمية، كأنه صادر من بئر عميق، لكنه يحمل دفئاً مألوفاً:

"أنا التي لن أتركِ أبداً يا صغيرتي... أنا هنا لأجلكِ وحدكِ."

ظنت ماريا البريئة أن دميتها تحدثها كألعاب الأطفال، فابتسمت وسط دموعها وهمست:

"يا ليت أمي كانت معي الآن..."

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وهنا، اهتزت الدمية بحنان طفيف، وردت بنبرة امتزجت فيها قسوة الانتقام بحنان الأمومة:

"يا فؤاد أمكِ... أنا لست مجرد دمية، أنا روح أمكِ التي رفضت أن ترحل وتتركك وحيدة للوحوش. لقد بقيت هنا

لأحميكِ، وحين تكبرين، سيصبح هذا القصر ملكاً لكِ ، أعدكِ بذلك."

طمأنت كلمات الأم قلب الطفلة، فغفت بعمق وهي تضم الدمية المفعمة بروح أمها إلى صدرها الدافئ.

وسط سكون الليل ، تحركت الدمية ببطء وتصلب، تتقدم وتتراجع كأنها آلية شيطانية، قبل أن تنطلق كالبرق نحو غرفة الخالة النائمة. وهناك، حدث التحول المرعب؛ انسلخ وجه القماش البريء ليتحول إلى كائن بشع، برأس مشقق ينزف دماً قانيًا، وعيون حمراء تقدح شرارة، وجسد ممزق تفوح منه رائحة الموت والتعفن.

استيقظت الخالة على وقع خطوات ثقيلة، لتجد ذلك الكابوس يقف فوق رأسها.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

فتحت عينيها على مصراعيهما، وصرخت بتهتك وذعر أخرس الأنفاس:

"ساعدوني!"

ابتسمت الدمية ابتسامة مشقوقة حتى الأذنين، وقالت بصوت مجلجل:

"ومن سيمتد لإنقاذكِ من بين يدي الآن؟"

أمسكت الدمية بخناق الخالة بقوة خارقة، وجرت جسدها المرتجف إلى حديقة القصر الخلفية. حفرت لها قبراً عميقاً بأظافرها الحادة، وقذفت بها دافنة جسدها بالكامل تحت التراب، وتركت رأسها بارزاً يتنفس الرعب والذعر. وما إن أتمت فعلتها الشنيعة، حتى عادت أدراجها بخطى خفيفة، لتستقر في حضن ماريا النائمة كأن شيئاً لم يكن.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

مع تباشير الصباح، وجد الجيران الخالة مغمى عليها نصف مدفونة، فأسرعوا لإنقاذها. عادت إلى المنزل وهي ترتجف

كالورقة في مهب الريح، تفوح منها رائحة القبور. أمرت الخادمة بتحضير الإفطار، وقررت أن تحمل الطعام بنفسها لتتأكد من وجود ماريا. فتحت الباب بعنف وصرخت بهستيريا:

"استيقظي! هذا طعامكِ!"

تركت ماريا الطعام على الأرض وذهبت إلى المطبخ لتشرب بعض الماء. وفجأة، وثبت قطة صغيرة من فوق الطاولة، فخدشت يد الطفلة. بكت ماريا وعادت إلى غرفتها، بينما راقبت الدمية المشهد ببرود. انسحبت الدمية في صمت إلى المطبخ، فتحولت عيونها مجدداً إلى اللون الدموي، وانقضت على القطة بمخلب خفي لتمزقها أرباً كأنها قطعة قماش بالية، ثم عادت لسرير ماريا بهدوء تام.

دخلت الخالة المطبخ لترى أشلاء القطة الممزقة، فأصابتها موجة عارمة من الدوخة والغثيان. نادت الخادمة بفزع لتنظيف المكان. دخلت الدمية ونظفت كل شيء واختفت في الخفاء لتجعل الخالة تشعر كأنها فقدت عقلها. دخلت الخادمة ولم تجد شيئاً على الأرض،

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وقالت بابتسامة حيرة:

"يا سيدتي، لا يوجد هنا سوى الفراغ!"

شلّ الرعب أطراف الخالة؛ أين ذهبت القطة؟

سمعت طرقات الباب، ففتحت لتجد جارتها تعطيها دعوة إلى الحفلة التي ستقام في اليوم التالي. قبلت الخالة الدعوة وقررت أن تخرج إلى السوق لشراء فساتين جديدة.

وفي المساء، عادت الخالة من السوق حاملة عدة فساتين فاخرة حضرتها لحفل زفاف صديقتها. وضعت الفساتين على السرير، وذهبت تنادي الخادمة لتستشيرها في الأفضل بينها. وما إن غادرت الغرفة، حتى تسللت الدمية مجدداً، وألقت

بالفساتين الفاخرة في برك من الدم القاني الطازج.

عادت الخالة لتتفقد الفساتين، فوقفت كالطود المصدوم أمام قطع القماش الملطخة بالدماء الكثيفة. صرخت بجنون، وأغلقت الباب على الفور وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة:

"ما الذي يحدث في هذا البيت؟ "

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ذهبت مسرعة إلى المطبخ لتشرب الماء، ويدها يرتعشان من الخوف، وهدأت قليلا ً.

تذكرت أن ماريا وضعت الطعام على الأرض ولم تأكل شيئا، فقررت أن تذهب إليها؛ ليس لأنها تخاف عليها أو تريدها أن تأكل، بل لكي تعاقبها وتفرغ كل ما في قلبها وترتاح؛ فكانت الخالة ترتاح عندما تضرب ماريا وتعاقبها على أشياء تافهة.

ذهبت إلى الغرفة وفتحتها بقوة وفي يدها عصا، وقالت:

"مااااريا! أتريدين القليل من الضرب اليوم؟ لماذا تركت الطعام على الأرض؟"

ورفعت يدها، وفي نفس الوقت شعرت أن هناك قوة أمسَكت بيدها؛ نظرت لتجد الدمية وهي في حضن ماريا وعيونها حمراء وتقدح شرارا. خافت الخالة وتراجعت إلى الوراء، وذهبت إلى غرفة الضيوف، جلست تفكر وتتقول في نفسها:

معقول كل الذي يحدث معي بسبب الدمية التي تحملها ماريا؟ لا، لا، غير معقول، هي دمية لا تتحرك ولا تتكلم! ولكن هل الذي رأيته قبل قليل كان وهما أم حقيقيا؟

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وبعد دقائق، قررت أن تذهب وتأخذ الدمية وترمي بها خارج القصر لكي ترتاح. ذهبت مسرعة إلى غرفة ماريا وهي نائمة، واستغربت قائلة:

"ماريا! طوال اليوم نوم! سأخذ الدمية وأرمي بها!"

اقتربت لتأخذ الدمية، ففتحت الدمية عيونها وابتسمت! خافت الخالة لأنها اعتبرتها دمية عادية، وقالت في نفسها:

"هل الذي أراه حقيقي أو لا؟"

ردت الدمية:

"حقيقي."

تراجعت الخالة إلى الخلف وهي خائفة وقالت:

"كيف لدمية بالية أن تقرأ أفكاري وتتكلم؟ يمكن هذا وهم! سأخذ الدمية وأرمي بها خارج القصر وأرتاح."

أمسكت الدمية، فصرخت ماريا وقالت:

"لا تأخذيها أرجوكِ! أنا لا أستطيع العيش من دونها، أرجوكِ اتركيها!"

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

أخذت الخالة الدمية بالقوة من يد ماريا، وخرجت إلى خارج القصر ورمت بها، ودخلت إلى الداخل وماريا لا تزال تبكي على دميتها. ذهبت الخالة إلى ماريا وقالت لها:

إذا لم تسكتي سأرمي بكِ إلى جانبها! أريد أن أرتاح، أسمعتِ؟

خافت ماريا وسكتت ودموعها تملأ خديها. هطل المطر وأصبح الجو مرعباً، وكانت ماريا تسمع صوت المطر والرعد وتبكي خائفة. نظرت إلى النافذة، فإذا بالدمية موجودة خارج زجاج النافذة! فتحت ماريا النافذة، فقفزت الدمية إلى حضنها وقالت:

"لا أحد يستطيع أن يفرق بيننا يا صغيرتي، أنا هنا لحمايتك ولن أتركِ."

تبسمت ماريا، وبعدها اختفت الدمية فجأة. قالت ماريا:

أين الدمية؟ قبل قليل كانت في حضني!"

وفي ذلك الوقت، ذهبت الدمية إلى المطبخ وأحضرت الطعام والحليب لماريا وعادت إلى الغرفة. نظرت إليها ماريا وأخذتها إلى حضنها وقالت:

"دميتي! أنتِ هنا وأنا أبحث عنكِ!"

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ونظرت إلى الطعام وبدأت تأكل وتشرب الحليب، بينما الدمية تجهز لها مكاناً لكي تنام فيه. ماريا صغيرة ولا تفهم ما الذي يحدث؛ فكانت الدمية تعطيها الطعام والحليب وتجهز الغرفة دون أن تراها ماريا وهي تتحرك.

نامت ماريا، وذهبت الدمية إلى غرفة الخالة وأخرجت

الملابس والمجوهرات وكسرت كل شيء في الغرفة.
استيقظت الخالة وأشعلت الضوء، والدمية تطفئه، صرخت وكانت خائفة جداً، وبعدها أضاءت الدمية الضوء وقالت:

"مساء الخير عزيزتي، هل اشتقتِ لي؟"

قالت الخالة بذعر:

"هذا جنون! كيف لدمية بالية أن تتحدث؟ ما الذي يحدث هنا؟ أكاد أفقد عقلي!"

قالت الدمية:

"وهذا ما سيحدث يا عزيزتي!"

وتغير شكل الدمية إلى شكل مرعب وكبير الحجم، فانقضت على الخالة وخنقتها حتى ماتت.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

رجعت الدمية إلى غرفة ماريا وهي نائمة وقالت لها:

الآن أصبح كل شيء ملكِك يا صغيرتي.وابتسمت.

استيقظت الخادمة وبدأت بالتنظيف، ولاحظت أن الخالة لم تأتِ لتوقظها كما تفعل كل يوم. ذهبت إلى غرفة الخالة ووجدت كل شيء مكسراً والخالة ميتة فوق السرير. اقتربت ببطء، وعندما علمت أن الخالة ماتت، خافت وتركت القصر وهربت.

قامت الدمية بتنظيف وتجهيز القصر. استيقظت ماريا على صوت أمها الحنون قائلة:

"صغيرتي، ها أنا ذا وفيت بوعدي لكِ وبقيت معكِ حتى النهاية."

احتضنت ماريا الدمية. وفرت الدمية خدماً لماريا وكرسيّاً كعرش للملكة، وبقيت الدمية ترافق ماريا إلى أن رجع والدها من السفر.

قالت لها بصوت دافئ:

وداعاً، الآن انتهى دوري، سأنام لتتعايشي حياة سعيدة يا صغيرتي.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ثم قبلت ماريا، وتركت خلفها الدمية القماشية العادية بلا روح، وقالت:

"حين تحتاجين إلى أمك، ضميني إلى صدرك... وستتذكرين أنني لم أغادرك يومًا."

ثم تنظر ماريا إلى الدمية، فتجدها مجرد لعبة صامتة، لكنها تبتسم والدموع في عينيها، لأنها تعلم أن أمها أوفت بوعدها وبقيت معها للأبد.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner